مجلة الشهاب • المجلد: 09، العدد: 03 (2023م) • ص ص 485-498
(ISSN: 2477-9954, EISSN: 2602-5485)
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/391

الطاعون في صدر الإسلام والعهد الأموي

The plague in early Islam and the Umayyad era

فردوس حناني *
قسم الحضارة الإسلامية - جامعة وهران 1 (الجزائر)
ferdoushanani@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2023/05/25 تاريخ الاستلام: 2023/09/19 تاريخ النشر: 2023/11/15

❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖

ملخص: يعد الطاعون من أشد الأوبئة ضراوة عبر التاريخ، فقد عانى المسلمون منه، وكان الحجر الصحي هو الحل الأمثل للتقليل من انتشاره، والحد من ارتفاع نسبة الوفيات، هذه التربية الصحية السليمة التي أرشدنا إليها الرسول ﷺ.

من أبرز الطواعين التي مست الدولة الإسلامية: طاعون شيرويه (6هـ-627م)، وطاعون عَمَوَاس (18هـ-639م)، الطاعون العظيم بالكوفة (50هـ-670م)، وطاعون الجارف (69هـ-688م)، وطاعون الجارف أو الفتيات والأشراف (87هـ-705م)، وطاعون عدي بن أرطأة (100هـ-718م)، وطاعون غراب (127هـ-744م)، وطاعون مسلم بن قتيبة (131هـ-748م)، وقد ساهمت هذه الأوبئة في سقوط الدولة الأموية.

الكلمات المفتاحية: الوباء؛ الطاعون؛ أشهر الطواعين؛ الحجر الصحي؛ التاريخ.

Abstract: The plague is one of the most virulent epidemics throughout history, Muslims have suffered from it, and quarantine was the best solution to reduce its spread and reduce the high death rate. This is the sound health education that the Messenger of God, peace and blessings be upon him, guided us to.

and one of the most prominent plagues that affected the Islamic state: the Shiroeh Plague (6AH-627AD), the Plague of Emmaus (18AH-639AD), the Great Plague in Kufa (50AH-670AD), the Plague of the Great (69AH-688AD), the Plague of the Great or Girls and the Nobles (87AH-705AD), and the plague of Uday bin Arta (100AH-718AD), the plague of Ghorab (127AH-744AD), and the plague of Muslim bin Qutaiba (131AH-748AD), These epidemics contributed to the fall of the Umayyad dynasty.

Keywords: Epidemic; Plague; The Most Famous Plagues; Quarantine; History.

* المؤلف المراسل.

1. مقدمة

تعرضت الدولة الإسلامية عبر تاريخها الطويل للعديد من الابتلاءات والمحن والأزمات، وقد نال المسلمين منها الكثير كالأمراض والأوبئة، وكان أشدها فتكا مرض الطاعون الذي انتشر في مختلف الأقطار الإسلامية وترك أثارا وخيمة، انعكست سلبا على حياة الفرد والمجتمع وساهمت في سقوط بعض الدول، فما هي أبرز الطواعين وأشهرها التي شهدتها الدولة الإسلامية؟ وماذا نجم عنها؟ وكيف تعامل المسلمون معها؟ وما هي أسباب وقوع الوباء؟

وللإجابة على هذه الإشكالية اتبعنا المنهج التاريخي، لتتبع مراحل التطور التاريخي للدولة الإسلامية تزامنا مع الوباء، واعتمدنا كذلك على المنهج الوصفي، لوصف الحالة الصحية المتدهورة الناجمة عن الوباء، كما استشهدنا بالعديد من الروايات التاريخية الخاصة بوباء الطاعون وآثاره، خاصة من المؤرخين المعاصرين لتلك الأحداث والوقائع، ممّن قدّموا صورا متنوعة عن الأوبئة وآثارها المأساوية، والتي قمنا بذكرها ووصفها شعرا ونثرا، كما قارنّا بين الروايات التاريخية المتباينة كالاختلاف في سنة وقوع الوباء ومخلفاته.

ونهدف من خلال هذا البحث الاستفادة من نظام التربية الصحية على ضوء الكتاب والسنة، وذكر أشهر الطواعين التي شهدتها الدولة الإسلامية، كما أنّ الموضوع جدير بالدراسة لأنّه حديث الساعة لانتشار الوباء في مختلف أنحاء العالم.

2. الطاعون والحجر الصحي

2 .1. وباء الطاعون وأنواعه:

أ- تعريف الوباء لغة: هو الطاعون وقيل هو كل مرض عامّ.[1]

ب- تعريف الوباء اصطلاحا: هو مرض معد ينتشر بسرعة في بقعة أو كورة أو بلد.[2]

ج- سبب وقوع الوباء: يرجع ابن خلدون كثرة الوفيات إلى كثرة المجاعات والفتن، ووقوع الوباء موضحا سبب وقوعه قائلا: "وأما كثرة المُوتان[3] فلها أسباب من كثرة المجاعات، أو كثرة الفتن لاختلال الدولة فيكثر الهرج والقتل، أو وقوع الوباء. وسببه في الغالب فساد الهواء[4] بكثرة العمران لكثرة ما يخالطه من العفن والرطوبات الفاسدة. وإذا فسد الهواء وهو غذاء الروح الحيواني وملابسه دائما فيسري الفساد إلى مزاجه،

[1] ابن منظور، لسان العرب، ج1، ص: 189.

[2] يوسف خياط، معجم المصطلحات العلمية والفنية، ص: 708.

[3] المُوتان: بضم الميم، وإسكان الواو، على وزن بطلان: الموت الكثير الوقوع. محمد بن رسول البرزنجي الحسيني، الإشاعة لأشراط الساعة، ص: 120.

[4] فساد الهواء: "فالهواء يمرض البدن: إما أن يبرده أو يسخنه أو يرطبه أو يجففه أو يعفنه، فأسرع الأبدان إجابة للهواء الحارة الرطبة وأعسرها إجابة الباردة اليابسة، ولتحفظ حينئذ هذه بحالها فتجفف الأولى ما أمكن، وأما الأبدان الممتلئة فلتستفرغ بالفصد، والرديئة الأخلاط بالإسهال، والمسددة بتفتيح السدد". الرازي، الحاوي في الطب، ج15، ص: 2342.

فإن كان الفساد قويا وقع المرض في الرئة وهذه هي الطواعين وأمراضها مخصوصة بالرئة".[1]

د- تعريف الطاعون لغة: هو المرض العام، والوباء الذي يفسد له الهواء فتفسد له الأمزجة والأبدان.[2]

هـ- تعريف الطاعون اصطلاحا: بوزن فاعول من الطعن، عدلوا به عن أصله ووضعوه دالا على الموت العام كالوباء.[3] والطاعون مرض وبائي بسبب باسيل[4] الطاعون، يصيب الفئران تنقله البراغيث إلى فئران أخرى وإلى الإنسان.[5]

و- الفرق بين الوباء والطاعون: قال ابن حجر العسقلاني في فتح الباري: "قال الخليل: الطاعون الوباء. وقال الداودي: الطاعون حبة تخرج من الأرقاع وفي كل طي من الجسد والصحيح أنّه الوباء. وقال عياض: أصل الطاعون القروح الخارجة في الجسد، والوباء عموم الأمراض، فسميت طاعونا لشبهها بها في الهلاك، وإلا فكل طاعون وباء وليس كل وباء طاعونا. قال: ويدل على ذلك أن وباء الشام الذي وقع في عمواس إنّما كان طاعونا، وما ورد في الحديث أنّ الطاعون وخز الجن". وأضاف: "والطواعين تكثر عند الوباء في البلاد الوبئة، ومن ثم أطلق على الطاعون وباء وبالعكس".[6] وقال في بذل الماعون:"وقد ظهر بما وردته أنّ الطاعون أخص من الوباء، وأنّ الأخبار الواردة في تسمية الطاعون وباء، لا يلزم منه أنّ كل وباء طاعون، بل يدل على عكسه، وهو أنّ كل طاعون وباء، لكن لما كان الوباء ينشأ عنه كثرة الموت، وكان الطاعون أيضا كذلك، أطلق عليه اسمه".[7]

ز- أنواع الطاعون: وهي عديدة، أشهرها:

1- ما يخرج في البدن من الورم خصوصا في المغابن[8]، وقد يقع في اليد والأصبع وجميع الأعضاء.

2- ما يقع في أي عضو كان من البدن كالقرحة والبثرة، لكن الاختصاص له بالمغابن فقط.

3- ما يطفئ الروح كالذبحة، إذ في أنواع الطاعون ما يماثلها، ولذلك يختلف حال من وقعت به في زمن الطاعون وفي غير زمنه.

4- ما يقع في عضو ما فيتآكل منه كالجذام[9].[10]

---

[1] ابن خلدون، المقدمة، ص: 288.

[2] ابن منظور، لسان العرب، ج13، ص: 267.

[3] ابن حجر العسقلاني، فتح الباري، ج 10، ص: 190.

[4] باسيل: (ج. باسيلات) Bacillus <<بكتيري عصوي الشكل>>. يوسف خياط، المرجع السابق، ص: 52.

[5] يوسف خياط، المرجع السابق، ص: 415.

[6] ابن حجر العسقلاني، فتح الباري، ج 10، ص ص: 190- 191.

[7] ابن حجر العسقلاني، بذل الماعون في فضل الطاعون، ص: 102.

[8] المغابن: جمع مغبن هي بواطن الأفخاذ والآباط وشبهها. ابن حجر العسقلاني، المرجع نفسه، ص: 173.

[9] الجذام: الجذام من الداء: معروف لتجذّم الأصابع وتقطّعها. ابن منظور، لسان العرب، ج12، ص: 87.

[10] ابن حجر العسقلاني، بذل الماعون في فضل الطاعون، ص: 100.

2.2. الحجر الصحي:

لقد وضع الإسلام قانون الحجر الصحي قبل أن تعرفه الدول الكبرى المتحضرة، قال حسين الحاج حسن: "لو علمت أوروبا بالحجر الصحي لخفّت عنها الخسائر البشرية في أواسط القرن الرابع عشر لما اجتاحها الطاعون، إذ قدر عدد الموتى الذين قضى عليهم هذا الوباء الخطير بخمسة وعشرين مليون نسمة، في ذلك الوقت نفذت البندقية وميلانو قوانين صارمة بالحجر الصحي، فأنشأت المأوي بعيدا عن المدينة ليقيم فيها القادمون المشتبه فيهم، فيبقوا معزولين لمدة ثلاثين يوما ثمّ زيدت المدة بعد ذلك، حتّى صارت أربعين يوما".[1]

أ- هدي النبي ﷺ: أشاد محمود العقاد بدور النّبي ﷺ في محاربة الوباء، فقال: "هذا الإلهام النافذ السديد في تدبير المصالح العامة، وعلاج شؤون الجماعات، هو الذي أوحى إلى الرسول الأمي قبل كشف الجراثيم، وقبل تأسيس الحجر الصحي بين الدول، وقبل العصر الحديث بعشرات القرون، أن يقضى في مسائل الصحة واتقاء نشر الأوبئة بفصل الخطاب الذي لم يأت العلم بعده بمزيد".[2] حيث قال: "إِذَا سَمِعْتُمْ بِالطَّاعُونِ بِأَرْضٍ فَلَا تَدْخُلُوهَا، وَإِذَا وَقَعَ بِأَرْضٍ وَأَنْتُمْ بِهَا فَلَا تَخْرُجُوا مِنْهَا".[3]

لقد قدّم لنا النبيّ ﷺ الطريقة المثلى للوقاية من الأمراض، وقواعد وأصول كانت بداية لنظام الوقاية والعلاج، وهو نظام العزل والحجر الصحي ضمانا لعدم تفشي الأمراض وانتشار العدوى.[4] وأوّل بيمارستان[5] أقيم عند المسلمين، كان الذي أقامه الخليفة الأموي الوليد بن عبد الملك[6] في دمشق،[7] فقد حبس المجذومين عن أن يخرجوا على الناس، وأجرى عليهم أرزاقا.[8]

فمن تعاليم دين الإسلام الصحية الوقائية، قول النبي ﷺ: "لا عَدْوَى وَلا طِيرَةَ وَلا هَامة وَلا صفر، وَفِر مِنَ المَجْذُومِ كَمَا تَفِرُ منَ الأَسَدِ"[9]، كما وضع الإسلام الحجر الصحي على الحيوان أيضا، فلا يورد صاحب الماشية المريضة على صاحب الماشية السليمة لكي لا يعدي مريضها سليمها.[10]

ب- النهي عن الخروج من موضوع الطاعون أو الدخول فيه: إذ جمع النبي ﷺ في نهيه للأمة عن

---

[1] حسين الحاج حسن، النظم الإسلامية، ص: 443.

[2] عباس محمود العقاد، عبقرية محمد، ص ص: 64- 65.

[3] البخاري، صحيح البخاري، كتاب الطب، باب ما يذكر في الطاعون، الحديث رقم: 5728، ص: 1451.

[4] فتحية النبراوي، تاريخ النظم والحضارة الإسلامية، ص: 185.

[5] يعود إنشاء أوّل بيمارستان في الإسلام إلى عصر الوليد بن عبد الملك، الذي يعدّ أوّل من أقام بيمارستان في عام 88هـ - 706م، وجعل فيه الأطباء وأجرى عليهم الأرزاق، وأمر بحبس المجذومين وعزلهم حتّى لا تنتشر العدوى. المرجع نفسه، ص: 228.

[6] الوليد بن عبد الملك: هو الخليفة أبو العباس الوليد بن عبد الملك بن مروان بن الحكم الأمويّ، الدمشقي الذي أنشأ جامع بني أمية. بويع بعهد من أبيه، وأنشأ أيضا مسجد رسول الله وزخرفه. فتح بوابة الأندلس وبلاد الترك، وغزا الروم مرات في دولة أبيه وحج. مات في جمادى الآخرة سنة ست وتسعين، وله إحدى وخمسون سنة. ينظر: شمس الدين الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج4، ص ص: 347- 348.

[7] فتحية النبراوي، المرجع السابق، ص: 186.

[8] الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج6، ص: 437.

[9] البخاري، صحيح البخاري، كتاب الطب، باب الجذام، الحديث رقم: 5707، ص: 1447.

[10] حسين الحاج حسن، المرجع السابق، ص: 443.

الدخول إلى الأرض الّتي هو بها، ونهيه عن الخروج منها بعد وقوعه للوقاية منه، فالدخول فيه تعرض للبلاء وموافاة له في محله، وإعانة للإنسان على نفسه ممّا يخالف الشرع والعقل، وتجنب الدخول إلى أرضه من باب الحمية التي أرشد الله تعالى إليها، وهي حمية عن الأمكنة، والأهوية المؤذية. وفي نهيه عن الخروج من بلده، معنيان:

[1] حمل النفوس على الثقة بالله، والتوكل عليه، والصبر على أقضيته، والرضى بها.[1]

[2] ما قاله أئمة الطب: أنّه يجب على كل محترز من الوباء أن يُخرج عن بدنه الرطوبات الفضلية، ويقلل الغذاء، ويميل إلى التدبير المجفف من كل وجه إلا الرياضة والحمام، فإنّهما يجب أن يُحذرا، لأنّ البدن لا يخلو غالبا من فضل رديء كامن فيه، فتثيره الرياضة والحمام، وبخلطانه بالكيموس (الخلاصة الغذائية) الجيد، وذلك يجلب علة عظيمة، بل يجب عند وقوع الطاعون السكون والدعة، وتسكين هيجان الأخلاط، ولا يمكن الخروج من أرض الوباء والسفر منها إلا بحركة شديدة وهي مضرة جدا.[2]

ج- الحكم من النهي عن الدخول إلى الأرض التي وقع بها الوباء والخروج منها:

[1]- تجنب الأسباب المؤذية والبعد عنها.

[2]- الأخذ بالعافية التي هي مادة المعاش والمعاد.

[3]- أن لا يستنشقوا الهواء الذي قد عفن وفسد فيمرضون.

[4]- أن لا يجاوروا المرضى الذين قد مرضوا بذلك، فيحصل لهم بمجاورتهم من جنس أمراضهم.

[5]- حمية النفوس عن الطيرة والعدوى، فإنّها تتأثر بهما، فإنّ الطيرة على من تطير بها.

د- لا تخرجوا فرارا منه: ويجب التقليل من الحركة قدر الإمكان، والفار منه لا موجب لحركته إلا بمجرد الفرار منه، ودعته وسكونه أنفع لقلبه وبدنه وأقرب إلى توكله على الله[3]، لقول النبيﷺ: "الطَّاعُونُ شَهَادَةٌ لِكُلِّ مُسْلِمٍ".[4]

3. أشهر الطواعين عبر التاريخ الإسلامي

ومن أبرز الأوبئة وأشهرها عبر التاريخ الإسلامي التي سنذكرها، هي تلك الطواعين التي شهدتها الدولة الإسلامية في صدر الإسلام، والتي حدثت على عهد الأمويين خاصة.

1.3. الطاعون في صدر الإسلام:

ونقصد به الطاعون الذي وقع في زمن النبوة والخلافة الرشيدة، وكان أبرزها في زمن النبوة طاعون شيرويه، وطاعون عَمَوَاس زمن الخلافة الرشيدة.

---

[1] نبيل خالد، كنوز الطب الشعبي البديل (الوقاية والعلاج)، ص: 290.

[2] المرجع نفسه، ص: 291.

[3] نبيل خالد، المرجع السابق، ص: 218.

[4] البخاري، صحيح البخاري، كتاب الطب، باب ما يذكر في الطاعون، الحديث رقم: 5732، ص: 1452.

أ- طاعون شيرويه (6هـ- 627م):

يعدّ طاعون شيرويه أوّل طاعون وقع في الإسلام على عهد النبي ﷺ سنة 6 هـ بالمدائن،[1] ولم نعثر في كتب التاريخ على أي إشارات إلى التأثيرات الصحية له.

وروي أنّ شيرويه بن أبرويز وهو ابن بنت قيصر، كان قد أمر بأبيه فسملت عيناه، وقتل من إخوته ثمانية عشر رجلا، وفرّ بقية أهل بيته، وخفف المؤونة على الناس ورفع الخراج، وظهر الطاعون، فهلك فيمن هلك.[2]

وفي رواية تاريخية أخرى أنّ العام الذي ملك فيه شيرويه، توفي رسول الله واستخلف أبو بكر، وأنّ شيرويه لما ملك عمد إلى إخوته وكانوا خمسة عشر رجلا فضرب أعناقهم مخافة أن يفسدوا عليه ملكه فسلطت عليه الأمراض والأسقام حتى مات وكان ملكه ثمانية أشهر.[3]

فبعد مقتل أبيه وإخوته ابتلي شيرويه بالأمراض، ولم يلتذ بشيء من الدنيا، وكان هلاكه بدسكرة الملك وجزع بعد قتل إخوته جزعا كثيرا.[4]

ب- طاعون عَمَوَاس (18هـ- 639م):

كان في خلافة عمر بن الخطاب ﷺ سنة سبع عشر، وقيل: ثمان عشرة، ومات فيه من جيش المسلمين خمسة وعشرون ألفا، وقيل ثلاثون ألفا، وقيل: سمّي طاعون عمواس، لأنّه لم يقع في شيء من المواضع سوى ما وقع فيه.[5]

وقيل أنّ طاعون عمواس وقع مرتين لم ير مثلهما وطال مكثه، وفنى خلق كثير من الناس، حتّى طمع العدو، وتخوفت قلوب المسلمين كثيرا لذلك. ولهذا قدم عمر بعد ذلك إلى الشام فقسم مواريث الذين ماتوا لما أمرها على الأمراء، وطابت قلوب الناس بقدومه، وانقمعت الأعداء من كل جانب لمجيئه إلى الشام.[6]

واختلف في طاعون عَمَوَاس وفي أي سنة كان، ذكر العديد من المؤرخين أنّه وقع في 18 هـ، "ثمّ دخلت سنة ثماني عشرة، ففيها كان طاعون عَمَوَاس، فتفانى فيها الناس، فتوفي أبو عبيدة ابن الجراح، وهو أمير الناس، ومعاذ بن جبل، ويزيد بن أبي سفيان، والحارث ابن هشام، وسهيل بن عمرو، وعتبة بن سهيل، وأشراف الناس".[7]

وهناك رواية تاريخية ورد فيها أنّه وقع متزامنا مع طاعون شيرويه،"أوّل طاعون في الإسلام طاعون عمواس بالشام، فيه مات معاذ بن جبل، وامرأتاه وابنه، وأبو عبيدة بن الجرّاح. وطاعون شيرويه بن

[1] محمد بن رسول البرزنجي الحسيني، المرجع السابق، ص: 120.
[2] ابن قتيبة الدينوري، المعارف، ص: 665.
[3] أبي حنيفة الدينوري، الأخبار الطوال، ص: 110.
[4] ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج 1، ص: 385.
[5] محمد بن رسول البرزنجي الحسيني، المرجع السابق، ص: 121.
[6] ابن كثير، البداية والنهاية، ج 7، ص: 79.
[7] الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج4، ص: 60.

كسرى بالعراق، في زمن واحد، وكانا جميعا في زمن عمر بن الخطاب. وبين طاعون شيرويه وطاعون عمواس مدة طويلة".[1]

وجاء في رواية تاريخية أخرى: "أتينا أبا موسى وهو في داره بالكوفة لنتحدث عنه، فلما جلسنا قال: لا عليكم أن تخفّوا، فقد أصيب في الدار إنسان بهذا السقم، ولا عليكم أن تنزّهوا عن هذه القرية، فتخرجوا في فسيح بلادكم ونزهها حتّى يرفع هذا الوباء، سأخبركم بما يكره مما يتّقى، من ذلك أن يظن من خرج أنه لو أقام مات، ويظن من أقام فأصابه ذلك لو أنه لو خرج لم يصبه، فإذا لم يظن هذا المرء المسلم، فلا عليه أن يخرج، وأن يتنزه عنه، إنّي كنت مع أبي عبيدة الجراح بالشام عام طاعون عمواس، فلما اشتد الوجع، وبلغ ذلك عمر، كتب إلى أبي عبيدة ليستخرجه منه".[2]

وممّا قيل في طاعون عمواس من الشعر: قول امرئ القيس، حشيش الكندي، أورده أبو حذيفة البخاري في كتاب المبتدأ، وابن عساكر في تاريخه:[3]

رُبَّ حَرْفٍ مِثْلَ الهِلَالِ وَبَيْضَا ... ء حِصَان بِالجَزَعِ مِنْ عَمَوَاس
قَدْ لَقُوا اللهَ غَيْرَ بَاغٍ عَلَيْهِمْ ... ثُمَّ أَضْحَوْا فِي غَيْرِ دَارِ التَّنَاسِي
فَصبرنَا لَهُمْ كَما عَلِمَ اللهُ ... وَكُنّا فِي المَوْتِ أَهْلَ تَآسِي

لقد أصاب أهل البصرة في تلك السنة أيضا الطاعون، فمات بشر كثير وجم غفير، رحمهم الله ورضي الله عنهم أجمعين، وقيل أنّ الحارث بن هشام خرج في سبعين من أهله إلى الشام، ولم يرجع منهم إلا أربعة، فقال المهاجر بن خالد في ذلك:[4]

من يَسْكُنِ الشَّام يُعرسُ بِهِ ... وَالشَّـــامُ إنْ لَمْ يَفْنِنَا كَـارِبُ
أَفْنَى بَنِي رِيطَـة فُرْسَانُهُمْ ... عِشْرُونَ لَمْ يُقْصَصْ لَهُمْ شَارِبُ
وَمن بَنِي أَعْمَـامِهِمْ مِثْلُهُمْ ... لِمِثْـــلِ هَذَا يَعْجَبُ العَـــاجِبُ
طَعْنًا وَطَاعُـــونًا مَنَايَاهُـمْ ... ذَلِكَ مَا خَـــطَّ لَنَا الكَـــاتِبُ

وعن مخلفات وآثار طاعون عمواس، فقد قدّر عدد من مات فيه بخمسة وعشرين ألفا. وورد ذكر قدوم عمر إلى الشام بعد الطاعون للنظر في المواريث في عدة روايات تاريخية، منها: "لما هلك الناس في الطاعون كتب أمراء الأجناد إلى عمر بما في أيديهم من المواريث فجمع الناس واستشارهم وقال لهم: "قد بدا لي أن أطوف على المسلمين في بلدانهم لأنظر في آثارهم فأشيروا علي". فقال عمر: "إنّ مواريث أهل عمواس قد ضاعت فأبدأ بالشام فأقسم المواريث وأقيم لهم ما في نفسي، ثمّ أرجع، فأتقلب في البلاد وأبدي إليهم أمري".[5]

---

[1] ابن قتيبة الدينوري، المصدر السابق، ص: 601.
[2] الطبري، المصدر السابق، ج4، ص: 60.
[3] محمد بن رسول البرزنجي الحسيني، المرجع السابق، ص ص: 121- 122.
[4] ابن كثير، المصدر السابق، ج 7، ص: 80.
[5] ابن الأثير، المصدر السابق، ج 2، ص ص:401- 402.

2.3. الطاعون على عهد الأمويين:

لقد سجّلت المصادر العربية باختلاف مناهلها، العديد من الروايات التاريخية حول تفشي وباء الطاعون خلال العصر الأموي، وسنذكر أهمّها وأشهرها:

أ- الطاعون العظيم بالكوفة (50 هـ- 670م):

وقع أوّل طاعون في العصر الأموي في خلافة معاوية بن أبي سفيان، فضرب الكوفة بين عامي (49هـ-669م/ 50هـ- 670م)، وبلغ من الضراوة والحدة أن توفي فيه والي الكوفة "المغيرة بن شعبة"، والّذي أمر سكان الكوفة بالجلاء عنها لمّا رأى تفشي الوباء وانتشاره، فنادى في الناس: "هذا العذاب قد وقع، فاخرجوا عنه". وخرج فارّا في زمن اشتداد الطاعون وارتفاعه، فلمّا خفّت حدّة الوباء رأى العودة إلى الكوفة، فما إن بلغ خُصاص بني عوف حتّى مات مطعونا.[1]

ويعدّ الطاعون العظيم بالكوفة رابع طاعون مشهور وقع في الإسلام، فالأول كان بالمدائن في عهد النبي صلى الله عليه وسلم، والثاني طاعون عمواس في زمان عمر ﷺ، والثالث بالكوفة وأميرها أبو موسى الأشعري، ثمّ هذا الطاعون أيضا بالكوفة.[2]

وقال أمير الكوفة المذكور الّذي مات مطعونا، حين حضرته الوفاة: "اللهم هذه يميني: بايعت بها نبيّك، وجاهدت بها في سبيلك".[3]

ثمّ وقع الطاعون في سنة 53 هـ، ومات فيه زياد بن أبي سفيان، ويقال له زياد بن أبيه وزياد بن سمية (أمّه)، في شهر رمضان من هذه السنة مطعونا.[4]

ب- طاعون الجارف (69هـ- 688م):

كان الطاعون الجارف الذي نزل بالبصرة ذريعا، وسمي جارفا لأنّه جرف الناس كجرف السيل[5]، واختلف في سنة وقوعه، فقيل أنّه وقع في سنة 64 هـ، وقيل أنّه كان في شهر شوال من سنة 69 هـ[6]، وفي رواية تاريخية أخرى أنّ الطاعون الجارف قد وقع في زمن ابن الزبير سنة 99 هـ، وعلى البصرة، يومئذ عبيد الله بن عبد الله بن مَعمر.[7]

وذكر الطبري خبر حدوث الطاعون الجارف ضمن أحداث سنة 65 هـ، والذي وقع بالبصرة وهلك به خلق كثير من أهلها. وأنّه وقع وعبيد الله بن مَعمَرَ على البصرة، فماتت أمه في الجارف، ولم يجدوا من يحملها حتّى استأجروا لها أربعة عُلُوج، فحملوها إلى حُفرتها وهو الأمير يومئذ.[8]

وذكره ابن الأثير ضمن أحداث سنة 65 هـ فقال: "في هذه السنة وقع طاعون الجارف بالبصرة وعليها

---

[1] أحمد العدوي، الطاعون في العصر الأموي، ص: 46.
[2] ابن ثغري بردي، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ج1، ص: 140.
[3] ابن قتيبة الدينوري، المصدر السابق، ص: 295.
[4] ابن كثير، المصدر السابق، ج 8، ص ص: 61- 62.
[5] ابن منظور، لسان العرب، ج 9، ص: 25.
[6] محمد بن رسول البرزنجي الحسيني، المرجع السابق، ص: 123.
[7] ابن قتيبة الدينوري، المصدر السابق، ص: 601.
[8] الطبري، المصدر السابق، ج5، ص ص: 612 - 613.

عبيد الله بن مَعمَرَ فهلك به خلق كثير فماتت أم عبيد الله فلم يجدوا لها من يحملها حتّى استأجروا من حملها وهو الأمير".[1]

ويبدو أنّ الوباء كان يظهر من حين لآخر، وفي مناطق متعددة من الدولة الإسلامية، ولكثرة ظهوره وانتشاره اختلفت بعض الروايات التاريخية في تاريخ ووقوعه، فقد أشار ابن ثغري بردي إلى الطاعون الذي وقع بمصر سنة 66 هـ، ومات فيه خلائق عظيمة، وذكر أنّ هذا خامس طاعون مشهور في الإسلام.[2] ثم ذكر طاعون الجارف الذي وقع بالبصرة سنة 96 هـ، فقال: "السنة الرابعة من ولاية عبد العزيز بن مروان على مصر وهي سنة تسع وستين، فيها كان بالبصرة طاعون الجارف. قال المدائني: حدّثني من أدرك الجارف قال: كان ثلاثة أيام مات فيها في كل يوم سبعون ألفا. وقال خليفة قال أبو اليقظان: مات لأنس بن مالك ثمانون ولدا ويقال سبعون ولدا، وقيل مات لعبد الرحمن بن أبي بكرة في الطاعون المذكور أربعون ولدا. وقلّ الناس بالبصرة جدّا حتّى إنّه ماتت أم أمير البصرة فلم يجدوا من يحملها إلا أربعة بالجهد. ومات لصدقة بن عامر العامري في يوم واحد سبعة بنين، فقال: اهمم إنّي مسلم مسلِّم. ولما كان يوم الجمعة خطب الخطيب وليس في المسجد إلا سبعة أنفس وامرأة، فقال الخطيب: ما فعلت الوجوه؟ فقالت المرأة: تحت التراب، وقيل: إنه توفي في هذا الطاعون عشرون ألف عروس. وقد اختلف في سنة هذا الطاعون".[3]

ويصف لنا ابن أبي الدنيا بشاعة المنظر الناجم عن الطاعون، وكثرة الموتى ونيل الحيوانات المفترسة منها: "لمّا وقع الطاعون الجارف بالبصرة، وذهب الناس فيه، وعجزوا عن موتاهم، وكانت السباع تدخل البيوت فتصيب من الموتى، وذلك سنة سبعين أيّام مصعب، وكان يموت في اليوم سبعون ألفا، فبقيت جارية من بني عجل ومات أهلها جميعا فسمعت عواء الذئب فقالت:[4]

ألا أيُّهَـا الذِّئْب المُنَـادِي بِسُحـره	هَلُمّ أبُثُّك الـذِي قَـد بَـدَا لَنَـا
بَــدَا لِــي أن قَـد يتمتُ وَ إنّنِـي	بقيّةُ قَـوم أورثُــوا فِي المَبَاكِيَـا
وَلا ضَير أنّي سَوفَ أتبعَ مَن مَضَى	وَيتّبِعُنِي مِن بَعدُ مَن كَانَ تَالِيَا

لما كان طاعون الجارف احتفر بشير بن أبي كعب العدوي قبرا، فقرأ فيه القران فلما مات دفن فيه.[5] إنّ حفر الناس لقبورهم بأنفسهم دليل قاطع على ضراوة الوباء، ويأسهم من الفرار منه والنجاة.

ج- طاعون الجارف أو الفتيات والأشراف (87هـ- 705م):

لقد وقع بالبصرة طاعون الفتيات سنة 87 هـ، وسمي بذلك لكثرة من مات فيها من النساء الشَّوابِ والعذارى.[6] ولأنّه بدأ في العذارى والجواري بالبصرة، وبواسط وبالشام وبالكوفة، وكان الحجاج يومئذ بواسط في ولاية عبد الملك بن مروان، ومات فيه عبد الملك بن مروان، أو بعده بقليل، ومات فيه أمية بن

[1] ابن الأثير، المصدر السابق، ج 4، ص: 26.
[2] ابن ثغري بردي، المصدر السابق، ج1، ص: 179.
[3] نفس المصدر، ج1، ص ص: 182- 183.
[4] ابن أبي الدنيا، كتاب الاعتبار وأعقاب السرور والأحزان، ص: 58.
[5] ابن منظور، مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر، ص: 230.
[6] محمد بن رسول البرزنجي الحسيني، المرجع السابق، ص: 125.

خالد بن عبد الله بن خالد بن أسيد، وعلي بن أصمع، وصعصعة بن حِصن، وكان يقال له أيضا طاعون الأشراف.[1]

وينقل لنا ابن أبي الدنيا شهادة حيّة عن مخلفات الوباء: "حدثني أبو بحر التكراويّ، عن أمّه قالت: خرجنا هاربين من طاعون الفتيات، فنزلنا قريبا من سنام، قالت: وجاء رجل من العرب معه بنون له عشرة فنزل قريبا منّا مع بنيه، فلم يمض إلا أيّام حتّى مات بنوه أجمعون، وكان يجلس بين قبورهم ويقول:

بِنَفْسِي فِتْيَةٌ هَلَكُوا جَمِيعاَ ... بِـرَابِيَةٍ مُجَـاوِرَةٍ سَـنَاما
أَقُولُ إِذَا ذَكَرْتُ العَهْدَ مِنْهُمْ ... بِنَفْسِي تِلْكَ أصْداء وهَامَا
فَلَم اَرَ مِثْلَهُمْ هَلَكُوا جَمِيعَا ... وَلَم أَرَ مِثْلَ هَذَا العَامِ عَاما

قالت: وكان يبكي من سمعه".[2] هذا ما حدث قرب سنام الجبل المشرف على البصرة، والروايات المماثلة كثيرة، وكان مطرف بن عبد الله بن الشخير من ضحايا طاعون الجارف بالبصرة.[3]

وقيل أنّ طاعون الأشراف وقع والحجاج بواسط، حتّى قيل فيه: لا يكون الطاعون والحجاج في بلد واحد، وسمي بطاعون الأشراف لكثرة من مات فيها من أشراف الناس.[4] وفي هذا الطاعون يقول الشاعر:[5]

وما ترك الطاعونُ من ذي قَرابة ... إليهِ إذَا كَانَ الإيَابُ يؤوبُ

د- طاعون عدي بن أرطأة (100هـ- 718م):

ضرب الطاعون البصرة مجددا في عام 100هـ- 718م، في عهد الخليفة عمر بن عبد العزيز، وكان على البصرة عدي بن أرطأة، فنسب ذلك الطاعون إليه. ومات فيه عبد الملك بن عمر بن عبد العزيز، وامتد ذلك الطاعون إلى الشام وصولا إلى دمشق، وفقد محمد بن سيرين (ت110هـ- 729م) على إثره ثلاثين ولدا، ولم يبق من ذريته إلا ولده عبد الله.[6]

هـ- طاعون غراب (127هـ- 744م):

لقد كان هذا الطاعون خفيفا في بدايته، لكنه سرعان ما انتشر وتحوّل إلى جارف مدة أربعة أيّام.[7] وقد وقع سنة 127 هـ، وسمي بطاعون غراب نسبة إلى رجل اسمه غُراب من الرّباب، وكان أوّل من مات فيه، في ولاية الوليد بن يزيد ابن عبد الملك.[8] وكان الطاعون بالشام ومات فيه خلائق لا تعد ولا تحصى، إذ خلّف خسائر بشرية معتبرة.[9]

---

[1] ابن قتيبة الدينوري، المصدر السابق، ص: 601.
[2] ابن أبي الدنيا، المصدر السابق، ص: 60.
[3] ابن الأثير، المصدر السابق، ج 4، ص: 245.
[4] محمد بن رسول البرزنجي الحسيني، المرجع السابق، ص: 126.
[5] ابن قتيبة الدينوري، المصدر السابق، ص: 602.
[6] أحمد العدوي، المرجع السابق، ص: 54.
[7] أحمد العدوي، المرجع السابق، ص: 55.
[8] ابن قتيبة الدينوري، المصدر السابق، ص: 601.
[9] ابن تغري بردي، المصدر السابق، ج1، ص: 304.

و- طاعون مسلم بن قتيبة (131هـ- 748م):

وقع هذا الطاعون سنة 131 هـ بالعراق، وسمي بذلك لأن مسلم بن قتيبة هو أوّل من استشهد فيه، وبدأ في شهر شعبان، واستمر في شهر رمضان، وأقلع في شوال، ومات فيه أيوب السختياني. ووقع طاعون مسلم بالعراق يوم الخروج، يعني يوم العيد سنة 131هـ، وبالشام سنة 135 هـ، وكان إذا فتح أفرق منه صاحبه.[1]

وقيل أنّه وقع بالبصرة في رجب وشعبان ورمضان، ثمّ خفّ في شوال، وبلغ في كل يوم ألف جنازة. ودام أربعة شهور (من رجب من ذلك العام، وبلغ ذروته في رمضان، وخفّت وطأته عن النّاس في شوال).[2] ويبدو أنّ عدد الضحايا مبالغ فيه!

هذه أبرز الطواعين التي شهدها العهد الأموي، وقد نقل بعض المؤرخين أنّ الطواعين في زمن بني أمية كانت لا تنقطع بالشام، حتّى كان خلفاء بني أمية إذا جاء زمن الطاعون يخرجون إلى الصحراء، ومن ثمّ اتّخذ هشام بن عبد الملك الرُّصافة منزلا، ثمّ خفّ ذلك في العهد العباسي.[3]

4. خاتمة

خلّف وباء الطاعون العديد من الآثار السيئة على جميع المجالات: السياسية والاقتصادية، والاجتماعية والأخلاقية، ولولا التزام المجتمع الإسلامي بالحجر الصحي لكانت الخسائر أكثر بكثير، ونذكر منها:

[1]- خسائر بشرية: معتبرة قدرت بالآلاف، مسّت جميع شرائح المجتمع وفي مختلف مراحل العمر، أثّرت على النمو الديمغرافي للسكان.

[2]- ضياع المواريث: فقد حار أمراء الجند في مسألة المواريث لكثرة الموتى بعد طاعون عمواس، إلى أن فصل عمر بن الخطاب ﷺ في الأمر.

[3]- الضرر النفسي: عند وقوع الطاعون والفزع، واليأس من النجاة لدرجة حفر الناس قبورهم بأيديهم. (اكتئاب)

[4]- ركود في الجانب الاقتصادي: في الداخل والخارج خاصة التجارة، لصعوبة التنقل من وإلى أماكن وقوع الوباء خوفا من انتشاره. (الحجر الصحي)

[5]- ركود فكري: كان ضمن شهداء الطاعون، خيرة العلماء الأجلاء في مختلف الميادين، وحتما قد تكون العديد من مؤلفاتهم ضاعت حينها، مع غلق المدارس ودور العلم والمكتبات، وبالتالي انقطاع طلبة العلم من ارتيادها.

[6]- أثّر على الوضع السياسي والدبلوماسي والعسكري أيضا، كتربص الأعداء بالمنطقة الموبوءة، ممّا أدّى بالخلفاء إلى تحصين الثغور جيدا عند وقوع الوباء.

---

[1] ابن قتيبة الدينوري، المصدر السابق، ص: 602.

[2] محمد بن رسول البرزنجي الحسيني، المرجع السابق، ص: 127.

[3] محمد بن رسول البرزنجي الحسيني، المرجع السابق، ص: 128.

5. قائمة المراجع

1- ابن أبي الدنيا، الحافظ أبو بكر، 1413هـ- 1993م، كتاب الاعتبار وأعقاب السرور والأحزان، تحقيق نجم عبد الرحمن خلف، بيروت- لبنان، مؤسسة الرسالة- دار البشير، ط1.

2- ابن الأثير، عز الدين، 1407هـ-1987م، الكامل في التاريخ، تحقيق أبي الفداء عبد الله القاضي، بيروت- لبنان، دار الكتب العلمية، ط1.

3- البرزنجي الحسيني، محمد بن رسول، 1426هـ- 2005م، الإشاعة لأشراط الساعة، تعليق محمد زكريا الكاندهلوي، بيروت- لبنان، دار المنهاج، ط3.

4- البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، 1423هـ- 2002م، كتاب الطب، باب ما يذكر في الطاعون، الحديث رقم: 5728، دار ابن كثير، دمشق، د ط.

5- ابن ثغري بردي، أبو المحاسن، 1383هـ-1963م، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، مصر، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر- وزارة الثقافة، د ط.

6- الحاج حسن، حسين، 1406هـ-1987م، النظم الإسلامية، بيروت-لبنان، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط1.

7- ابن حجر العسقلاني، شهاب الدين، د ت ط، بذل الماعون في فضل الطاعون، تحقيق أحمد عصام عبد القادر الكاتب، دار العاصمة، الرياض، د ط.

8- ابن حجر العسقلاني، شهاب الدين،1421هـ-2001م، فتح الباري، تحقيق عبد القادر شيبة الحمد، الرياض، ط1.

9- ابن خلدون، عبد الرحمن، 2004م، المقدمة، لبنان، دار الفكر، دط.

10- خالد، نبيل، 2003م، كنوز الطب الشعبي البديل (الوقاية والعلاج)، تحقيق الشيخ كامل عويضة، إشراف سعد ظلام، مصر ، دار ابن لقمان، د ط.

11- خياط، يوسف، 1950م، معجم المصطلحات العلمية والفنية، بيروت- لبنان، دار لسان العرب، د ط.

12- الدينوري، ابن قتيبة، د ت ط، المعارف، تحقيق ثروت عكاشة، القاهرة- مصر، مطابع دار المعارف، ط4.

13- الدينوري، أبي حنيفة، 1330هـ، الأخبار الطوال، تصحيح وضبط محمد سعيد الرافع، مصر، مطبعة السعادة، ط1.

14- الذهبي، شمس الدين، 1402هـ-1982م، سير أعلام النبلاء، تحقيق شعيب الأرناؤوط وآخرون، بيروت- لبنان، مؤسسة الرسالة، ط2.

15- الرازي، أبوبكر، 1421هـ- 2000م، الحاوي في الطب، مراجعة وتصحيح محمّد محمّد إسماعيل، بيروت- لبنان، دار الكتب العلمية، ط1.

16- الطبري، محمد بن جرير، 1971م، تاريخ الرسل والملوك، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة- مصر، دار المعارف، ط2.

17- العدوي، أحمد، 2018م، الطاعون في العصر الأموي، بيروت-لبنان، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، ط1.

18- العقاد، عباس محمود، 11سبتمبر 2006م، عبقرية محمد، مصر، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، د ط.

19- ابن كثير، عماد الدين، 1413هـ- 1992م، البداية والنهاية، بيروت-لبنان، مكتبة المعارف، د ط.

20- ابن منظور، محمد بن مكرم، د ت ط، لسان العرب، بيروت-لبنان، دار صادر، ط1.

21- ابن منظور، محمد بن مكرم، 1404هـ- 1984م، مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر، تحقيق مأمون الصاغرجي أحمد الحمامي، مراجعة رياض عبد الحميد مراد، دمشق، دار الفكر، ط1.
22- النبراوي، فتحية، 1999م، تاريخ النظم والحضارة الإسلامية، القاهرة، دار الفكر العربي، ط9.

Bibliography List

1- Ibn Abi Al-Dunya, Al-Hafiz Abu Bakr, 1413 AH - 1993 AD, kitab alaietibar wa'aeqab alsurur wal'ahzani, edited by Najm Abdul Rahman Khalaf, Beirut - Lebanon, Al-Resala Foundation - Dar Al-Bashir, 1st edition.
2- Ibn al-Atheer, Izz al-Din, 1407 AH - 1987 AD, al-Kamil fi al-Tarikh, edited by Abu al-Fida Abdullah al-Qadi, Beirut-Lebanon, Dar al-Kutub al-Ilmiyyah, 1st edition.
3- Al-Barzanji Al-Husseini, Muhammad bin Rasul, 1426 AH - 2005 AD, al'iishaeat li'ashrat alsaaeati, Commentary by Muhammad Zakaria Al-Kandahlawi, Beirut - Lebanon, Dar Al-Minhaj, 3rd edition.
4- Al-Bukhari, Abu Abdullah Muhammad bin Ismail, Sahih Al-Bukhari, 1423 AH - 2002 AD, Book of Medicine, Chapter What is Mentioned in the Plague, Hadith No. 5728, Dar Ibn Katheer, Damascus, ed.
5- Ibn Thaghri Bardi, Abu Al-Mahasin, 1383 AH - 1963 AD, alnujum alzaahirat fi muluk misr walqahirata, Egypt, Egyptian General Authority for Authors and Publishing - Ministry of Culture, ed.
6- Al-Hajj Hassan, Hussein, 1406 AH - 1987 AD, alnuzum al'iislamiatu, Beirut-Lebanon, University Foundation for Studies, Publishing and Distribution, 1st edition.
7- Ibn Hajar al-Asqalani, Shihab al-Din, d.d., d t ti, badhl almaeun fi fadl altaaeun, edited by Ahmed Essam Abdul Qadir al-Kateb, Dar Al-Asimah, Riyadh, d.d.
8- Ibn Hajar Al-Asqalani, Shihab Al-Din, 1421 AH - 2001 AD, Fath Al-Bari, edited by Abdul Qadir Shaybah Al-Hamad, Riyadh, 1st edition.
9- Ibn Khaldun, Abdul Rahman, 2004 AD, almuqadimatu, Lebanon, Dar Al-Fikr, ed.
10- Khaled, Nabil, 2003 AD, kunuz altibi alshaebii albadil (alwiqayat walealaji), edited by Sheikh Kamel Awaida, supervised by Saad Zallam, Egypt, Dar Ibn Luqman, ed.
11- Khayyat, Youssef, 1950 AD, Dictionary of Scientific and Technical Terms, Beirut - Lebanon, Dar Lisan al-Arab, ed.
12- Al-Dinuri, Ibn Qutaybah, D.T., Al-Ma'arif, edited by Tharwat Okasha, Cairo - Egypt, Dar Al-Ma'arif Press, 4th edition.
13- Al-Dinuri, Abu Hanifa, 1330 AH, Al-Akhbar Al-Tawal, corrected and edited by Muhammad Saeed Al-Rafi', Egypt, Al-Saada Press, 1st edition.
14- Al-Dhahabi, Shams al-Din, 1402 AH - 1982 AD, sayr 'aelam alnubala'i, edited by Shuaib Al-Arnaout and others, Beirut - Lebanon, Al-Resala Foundation, 2nd edition.
15- Al-Razi, Abu Bakr, 1421 AH - 2000 AD, alhawi fi altabi, reviewed and corrected by Muhammad Muhammad Ismail, Beirut - Lebanon, Dar Al-Kutub Al-Ilmiyyah, 1st edition.

16- Al-Tabari, Muhammad bin Jarir, 1971 AD, tarikh alrusul walmuluka, edited by Muhammad Abu Al-Fadl Ibrahim, Cairo - Egypt, Dar Al-Maaref, 2nd edition.

17- Al-Adawi, Ahmed, 2018 AD, altaaeun fi aleasr al'umawi, Beirut-Lebanon, Arab Center for Research and Policy Studies, 1st edition.

18- Al-Akkad, Abbas Mahmoud, September 11, 2006 AD, eabqariat muhamad, Egypt, Nahdet Misr for Printing, Publishing and Distribution, ed.

19- Ibn Kathir, Imad al-Din, 1413 AH - 1992 AD, lbidayat walnihayatu, Beirut-Lebanon, Ma'rif Library, ed.

20- Ibn Manzur, Muhammad bin Makram, dt.t., Lisan al-Arab, Beirut-Lebanon, Dar Sader, 1st edition.

21- Ibn Manzur, Muhammad bin Makram, 1404 AH - 1984 AD, mukhtasar tarikh dimashq liabn easakri, edited by Mamoun Al-Saghirji Ahmed Al-Hamami, reviewed by Riyad Abdul Hamid Murad, Damascus, Dar Al-Fikr, 1st edition.

22- Al-Nabrawi, Fathia, 1999 AD, tarikh alnuzum walhadarat al'iislamiati, Cairo, Dar Al-Fikr Al-Arabi, 9th edition.